

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ عَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة: 139-141]

### ❁ مُنَاسِبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

محاجة أهل  
الكتاب، وإبطال  
مزاعمهم وبيان  
كذبهم بالدليل

جاءت الآيات الكريمت مناسِبةً لما سَبَقَها؛ فهي تَسِيرُ في الموضوع نفسه، وهو: محاجة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وإبطال مذهبهم؛ حيث جاءت الآيات اسْتِثْنَاءً عَمَّا سَبَقَها، لإبطال مزاعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وبيان كذبهم وتوبيخهم عليه، قال البقاعي: "لَمَّا أَمَرَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: 135]، وما بعده، بإعلام الخصم بالمخالفة، وأن لا موافقة إلا بترك الهوى، واتباع الهدى؛ أَمَرَهُنَا: بِمُجَادِلَتِهِمْ بِمَا يُؤْهِى أَقْوَالَهُمْ، وَيَزِيحُ شُبُهَهُمْ، فَقَالَ مُعْرِضًا بِالْخُطَابِ عَنِ الْجَمْعِ، مُوجِّهًا لَهُ إِلَى رَسُولِهِ ﷺ، رَفْعًا لِمَقَامِهِ، وَتَعْرِيفًا بَعْلِي مَنْصِبِهِ، إِعْلَامًا بِأَنَّهُ لَا يَنْهَضُ بِذَلِكَ غَيْرُهُ، لِمَا لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَعَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْجَدَلِ وَاللَّدَدِ: ﴿قُلْ﴾ مُنْكَرًا لِمُحَاجَّتِهِمْ، وَمُؤَبِّخًا لَهُمْ عَلَيْهَا: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾، وَلَمَّا كَانَ الْأَنْسَبُ فِي الْمُقَارَعَةِ إِعْلَامَ الْخَصْمِ بِالْمُخَالَفَةِ؛ لِأَنَّهُ أَقْطَعُ لَطْمِعِهِ، وَأَمْكَنُ لَغِيْظِهِ، مَعَ أَنَّهُ هُنَا أَقْرَبُ إِلَى رِضَى الْخَالِقِ، قُدِّمَ عَلَى الْمُجَادِلَةِ" (1).

(1) البقاعي، نظم الدرر: 195-194/2.

## ❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَتَحْجُّونَنَا﴾: من (حَجَجَ)، حَجَّ عَلَيْنَا: قَدِمَ، وَحَجَّهْ يَحْجُّهُ حَجًّا: قَصَدَهُ، وَالْحَجُّ: كَثْرَةُ الْقَصْدِ إِلَى مَنْ يُعَظَّمُ، وَ"الْحُجَّةُ: الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظُّفْرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مَحْجَّاجٌ، أَي: جَدِلٌ، وَالتَّحَاجُّ: التَّخَاصُّمُ، وَجَمْعُ الْحُجَّةِ: حُجَجٌ وَحِجَاجٌ، وَحَاجَّهْ مُحَاجَّةً وَحِجَاجًا: نَازَعَهُ الْحُجَّةَ، وَحَجَّهْ يَحْجُّهُ حَجًّا: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ" (1).  
أَمَّا الْمُحَاجَّةُ فَهِيَ: أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُحَاجِّينَ رَدَّ صَاحِبِهِ عَنْ حُجَّتِهِ، أَوْ مَحْجَّتِهِ (2)، وَمَعْنَى: ﴿أَتَحْجُّونَنَا﴾: أَتَجَادِلُونَنَا وَتَخَاصِمُونَنَا؟

(2) ﴿أَظْلَمُ﴾: مِنْ (ظَلَمَ)، وَالظُّلْمُ: وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ تَعْدِيًّا (3)، وَمِنْ الْمَجَازِ: "ظَلَمَ الْأَرْضَ: حَفَرَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِ حَفْرِهَا، وَالْبَعِيرَ: نَحَرَهُ مِنْ غَيْرِ دَاءٍ، وَالْوَادِيَّ: بَلَّغَ الْمَاءُ مَوْضِعًا لَمْ يَكُنْ بَلَغَهُ قَبْلَهُ، وَالْوُطْبَ: سَقَى مِنْهُ اللَّبَنَ قَبْلَ أَنْ يَرُوبَ" (4).  
وَالظُّلْمُ: وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ؛ وَالتَّصَرُّفُ فِي حَقِّ الْآخَرِ؛ وَمُجَاوِزَةُ حَدِّ الشَّارِعِ، وَالْمَصْدَرُ الْحَقِيقِيُّ لـ (ظَلَمَ) هُوَ: الظُّلْمُ (بِالْفَتْحِ)، وَيُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الظُّلْمَ -بِالضَّمِّ- فِي الْأَصْلِ: اسْمٌ مِنْهُ وَإِنْ شَاعَ اسْتِعْمَالُهُ فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ (5).

وَالْمَعْنَى الَّذِي وَرَدَ بِهِ لَفْظُ ﴿أَظْلَمُ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ هُوَ: مَنْ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَجَاوَزَ حَدَّ الشَّارِعِ.

(3) ﴿كَتَمَ﴾: الْكَافُ وَالنَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى إِخْفَاءٍ وَسْتَرٍ، مِنْ ذَلِكَ: كَتَمْتُ الْحَدِيثَ، كَتَمًا وَكِتْمَانًا، كَتَمْتُهُ السِّرَّ كَتَمًا وَكِتْمَانًا، وَكَتَمَهُ: بَالِغٌ فِي كَتَمِهِ، وَسِرٌّ وَحَدِيثٌ مُكْتَمٌ، وَاسْتَكْتَمْتُهُ أَمْرِي، وَهُوَ كَتَامٌ وَكِتَامَةٌ لِلْأَسْرَارِ، وَكَاتَمْتُهُ الْعَدَاوَةَ: سَاتَرْتُهُ، وَفُلَانٌ لَا يَكْتُمُ أَي: لَا يَكْتُمُ أَمْرَهُ وَسِرَّهُ (6)، وَالكِتْمَانُ: نَقِيضُ الْإِعْلَانِ.

وَدَلَالَةُ ﴿كَتَمَ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ تَشِيرُ إِلَى

(1) ابن منظور، لسان العرب: (حجج).

(2) السمين، عمدة الحفاظ: (حجج).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظلم).

(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: (الظلم).

(5) الكوفي، الكلبيات، ص: 595.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كتم).

إِخْفَاءٍ وَسِتْرٍ، "وكلُّ ما في القرآنِ مِنَ التَّرْكِيبِ، فَهُوَ بِمَعْنَى: حَبَسَ الْكَلَامَ عَمَّا فِي الْقَلْبِ، مِنْ شَهَادَةٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ فِكْرٍ أَوْ تَدْبِيرٍ أَوْ عَقِيدَةٍ" (1).

(4) ﴿شَهَدَةً﴾: من (شَهِدَ)، والشَّهَادَةُ: خَبَرٌ قَاطِعٌ، تَقُولُ مِنْهُ: شَهِدَ الرَّجُلُ عَلَى كَذَا، وَقَوْلُهُمْ: اشْهَدْ بِكَذَا، أَيِ احْلِفْ، وَالْمُشَاهَدَةُ: الْمُعَايَنَةُ، وَشَهِدَهُ شُهُودًا، أَيِ: حَضَرَهُ، فَهُوَ شَاهِدٌ، وَقَوْمٌ شُهُودٌ، أَيِ: حُضُورٌ (2).

وَشَهِدَ لَهُ بِكَذَا شَهَادَةً، أَيِ: أَدَّى مَا عِنْدَهُ مِنَ الشَّهَادَةِ، فَهُوَ شَاهِدٌ، وَالْجَمْعُ شَهَدٌ، مِثْلُ: صَاحِبٌ وَصَحْبٌ، وَجَمَعَ الشَّهَدُ: شُهُودٌ وَأَشْهَادٌ، وَالشَّهِيدُ: الشَّاهِدُ: الْحَاضِرُ، وَالْجَمْعُ الشُّهَدَاءُ (3)، وَشَهِدَ الشَّاهِدُ عِنْدَ الْحَاكِمِ، أَيِ: بَيَّنَّ مَا يَعْلَمُهُ وَأَظْهَرَهُ (4).

وَالشَّهَادَةُ: قَوْلٌ صَادِرٌ عَنْ عِلْمٍ، حَصَلَ بِمُشَاهَدَةِ بَصِيرَةٍ أَوْ بَصَرٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَدَتُهُمْ﴾ [الزخرف: 19]، تَنْبِيْهَا أَنَّ الشَّهَادَةَ تَكُونُ عَنْ شُهُودٍ (5).

وَمَعْنَى الشَّهَادَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ شَهَادَةٌ عَلَيْهِمْ مِنْ أَلَلِهِ﴾ كُتِمَانُهُمْ شَهَادَةً عَنْهُمْ مِنْ أَلَلِهِ بِأَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا مُسْلِمِينَ، فَكْتُمُوا ذَلِكَ، وَنَحْلُوهُمْ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ.

(5) ﴿بِغَفْلٍ﴾: "الْغَيِّ وَالْفَاءُ وَاللَّامُ أَصْلُ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الشَّيْءِ سَهْوًا، وَرَبَّمَا كَانَ عَنْ عَمْدٍ" (6).

وَالتَّغَافُلُ: التَّعَمُّدُ، وَالتَّغَفُّلُ: حَتْلٌ عَنْ غَفْلَةٍ (7)، وَ"الْغَفْلَةُ: سَهْوٌ يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ مِنْ قِلَّةِ التَّحْفِظِ وَالتَّيَقُّظِ، يُقَالُ: غَفَلَ فَهُوَ غَافِلٌ" (8).

وَالْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، جَاءَ لِيَنْفِي كُلَّ مَعَانِي الْغَفْلَةِ،

(1) جبل، العجم الاشتقاقِيّ للوُضَل: (كُتِمَ).

(2) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحاح: (الشَّهَادَةُ).

(3) ابن منظور، لسان العرب: (شهد).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (شهد).

(5) الراغب، المفردات: (شهد).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غَفَلَ).

(7) الأزهري، تهذيب اللغة: (غَفَلَ).

(8) الراغب، المفردات: (غَفَلَ).

من السَّهْوِ وَقِلَّةِ التَّحَفُّظِ وَالتَّيَقُّظِ عَنْهُ تَعَالَى شَأْنُهُ، وَلِيُتَبَيَّنَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَالَمٌ ... خَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ<sup>(1)</sup>.

(6) ﴿أُمَّةٌ﴾: من (أُمَّم)، وأُمُّ الشَّيْءِ: أَصْلُهُ، وَمَكَّةُ: أُمُّ الْقُرَى، وَالْأُمَّةُ: الْجَمَاعَةُ، هُوَ فِي اللَّفْظِ وَاحِدٌ، وَفِي الْمَعْنَى جَمْعٌ، وَكُلُّ جِنْسٍ مِنَ الْحَيَوَانِ أُمَّةٌ<sup>(2)</sup>.

قال الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ "وَالْأُمَّةُ: كُلُّ جَمَاعَةٍ يَجْمَعُهُمْ أَمْرٌ مَا، إِمَّا دِينٌ وَاحِدٌ، أَوْ زَمَانٌ وَاحِدٌ، أَوْ مَكَانٌ وَاحِدٌ، سِوَاءٍ كَانَ ذَلِكَ الْأَمْرُ الْجَامِعُ تَسْخِيرًا أَوْ اخْتِيَارًا، وَجَمْعُهَا: أُمَّمٌ"<sup>(3)</sup>، وَبِهَذِهِ الدَّلَالَةُ وَرَدَ لَفْظُ ﴿أُمَّةٌ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾.

(7) ﴿خَلَتْ﴾: مِنْ (خَلَا)، يُقَالُ: خَلَا يَخْلُو خَلَاءً، فَهُوَ خَالٍ، وَالْخَلَاءُ مِنَ الْأَرْضِ: قَرَارٌ خَالٍ، لَا شَيْءَ فِيهِ، وَخَلَّى مَكَانَهُ، أَي: مَاتَ، وَخَلَّيْتُ عَنْهُ، أَي: أَرْسَلْتُهُ، وَخَلَا قَرْنٌ، أَي: مَضَى، فَهُوَ خَالٍ، وَالْخَلِيَّةُ: النَّاقَةُ خَلَتْ مِنْ وَلَدِهَا، وَرَعَتْ وَلَدَ غَيْرِهَا، وَيُقَالُ: هِيَ الَّتِي لَيْسَ مَعَهَا وَلَدٌ، وَالْخِلَاءُ فِي الْإِبِلِ كَالْحِرَانِ فِي الدَّائِبَةِ، خَلَاتِ النَّاقَةُ خِلَاءً، أَي: لَمْ تَبْرَحْ مَكَانَهَا، تَعَسَّرَ مِنْهَا<sup>(4)</sup>.

وَخَلَوْتُ إِلَيْهِ: إِذَا اجْتَمَعَتْ مَعَهُ فِي خَلْوَةٍ، وَأَنَا مِنْكَ خَلَاءٌ، أَي: بَرَاءٌ<sup>(5)</sup>.  
وَيَأْتِي (خَلَا) بِمَعْنَى: مَضَى، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾، وَالْقُرُونُ الْخَالِيَّةُ: هُمُ الْمَوَاضِي، وَخَلَا شَبَابُكَ: مَضَى، وَهُوَ مِنَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، وَتَقُولُ: كَانَ ذَلِكَ فِي الْقُرُونِ الْأَوَالِي، وَالْأَمَمِ الْخَوَالِي<sup>(6)</sup>.

### ❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

تَأْتِي هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ فِي سِيَاقٍ مُحَاجَجَةٍ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَيَعْتَمِدُ أَسْلُوبُ الْخُطَابِ فِيهَا عَلَى الْحِجَاجِ بِالْأَدْلِيلِ الْعَقْلِيِّ وَالنَّقْلِيِّ وَالْبِرْهَانِ الْقَاطِعِ، فَهِيَ تُجَادِلُهُمْ وَتُسَفِّهُ أَحْلَامَهُمْ، وَتُكَذِّبُهُمْ مِنْ خِلَالِ حِجَاجِهِمْ، وَبَيَانِ بَطْلَانِ عَقَائِدِهِمْ وَفَسَادِهَا.

**مُحَاجَجَةُ أَهْلِ  
الْكِتَابِ بِالْأَدْلِيلِ  
الْعَقْلِيِّ وَالنَّقْلِيِّ**

(1) الْكَفَوِيُّ، الْكَلْبَاتِ، ص: 546.

(2) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاح: (أُمَّم).

(3) الرَّاغِبُ، لِلْفَرْدَات: (أُمَّم).

(4) الْخَلِيلُ، الْغَيْن: (خَلَو).

(5) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاح: (خَلَا).

(6) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ: (خَلَا).

فَقَدْ افْتَتَحَتْ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَقُولَ لِأَهْلِ  
الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، الَّذِينَ يُجَادِلُونَ سَفَهًا بِغَيْرِ حَقٍّ،  
مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ: اتَّجَادِلُونَا يَا أَهْلَ الْكِتَابِ فِي أَنْكُمْ أَوْلَى بِاللَّهِ وَدِينِهِ  
مِنَّا؛ لِأَنَّ دِينَكُمْ أَقْدَمُ، وَكِتَابَكُمْ أَسْبَقُ، وَمَنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذِهِ الدَّعَاوَى  
الْبَاطِلَةُ، بِادِّعَاءِ الْهَدَايَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ دُونَنَا؟ وَاللَّهُ رَبُّنَا جَمِيعًا، لَا  
رُبُّكُمْ فَقَطْ، وَلَكُلٌّ مِنَّا أَعْمَالُهُ الَّتِي سَيُجَازَى عَلَيْهَا، لَنَا أَعْمَالُنَا الَّتِي لَا  
تُسْأَلُونَ عَنْهَا، وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ الَّتِي لَا نُسْأَلُ عَنْهَا، وَكُلُّ سَيُجَازَى بِعَمَلِهِ،  
فَأَنْتُمْ لَسْتُمْ بِأَفْضَلَ مِنَّا، بَلْ نَحْنُ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْكُمْ؛ لِأَنَّا مُخْلِصُونَ لَهُ  
فِي الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْتُمْ تُشْرِكُونَ.

ثم تأتي الآية التي بعدها: لَتَبَيَّنَ كَذِبَ أَقْوَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِافْتِرَائِهِمْ  
عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَوَبَّخَتْهُمْ عَلَيْهِ: أَمْ تَقُولُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ  
وَالْأَنْبِيَاءَ الْمَذْكُورِينَ، كَانُوا عَلَى دِينِ الْيَهُودِيَّةِ، أَوِ النَّصْرَانِيَّةِ، مَعَ  
أَنَّ هَاتَيْنِ الدِّيَانَتَيْنِ قَدْ شُرِعَتَا بَعْدَ الْمَذْكُورِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ أَمَرَ  
اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ أَنْ يَسْأَلَهُمْ: أَهَمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ،  
أَمْ اللَّهُ؟ وَعُلِمَ بِذَلِكَ: أَنَّ مَا يَقُولُونَهُ كَذِبٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَرُسُلِهِ،  
وَأَنَّهُمْ كَتَمُوا الْحَقَّ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِمْ، وَلَا أَحَدٌ أَشَدُّ ظُلْمًا مِنَ الَّذِي  
كَتَمَ شَهَادَةً ثَابِتَةً عِنْدَهُ عِلْمُهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، كَفَعَلَ أَهْلَ الْكِتَابِ،  
وَلَيْسَ اللَّهُ بِغَافِلٍ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

وَأَخِيرًا يُسَدِّلُ السُّتَارَ عَنْ هَذَا الْمُحَاجَّةِ بَيَانِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءَ  
الَّذِينَ يُجَادِلُونَ أُمَّةً قَدْ مَضَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَأَفْضَتْ إِلَى مَا قَدَّمَتْ مِنْ  
عَمَلٍ، وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْإِنْتِسَابُ إِلَيْهِمْ، وَلَنْ يَعُودَ إِلَيْكُمْ مِنْ صِلَاحِهِمْ  
وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ شَيْءٌ، فَلَهَا مَا كَسَبَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ،  
وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَا يُسْأَلُونَ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلَا يُؤْخَذُ أَحَدٌ  
بِذَنْبِ أَحَدٍ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِعَمَلٍ غَيْرِهِ، بَلْ كُلُّ سَيُجَازَى عَلَى مَا قَدَّمَ (1).

بيان كذب  
أهل الكتاب  
وافترائهم  
على الأنبياء،  
وتوبيخهم عليه

بيان أنه لا أحد  
يؤخذ بذنب  
أحد، ولا ينتفع  
بعمل غيره

(1) ابن جرير، جامع البيان: 3/123-128، والرازي، مفاتيح الغيب: 2/76-78، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/452-453، والبخاري، تفسير، ص: 21.

## ❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

غرض الاستفهام في قوله: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾:

لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ آيَاتُ فِي حِجَاجِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَإِبْطَالِ مَذْهَبِهِمْ، نَاسِبَهَا أَنْ تُفْتَحَ بِالِاسْتِفْهَامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [البقرة: 139]، وَالِاسْتِفْهَامُ إِنكَارِيٌّ مَشُوبٌ بِتَعْجُبٍ، إِنكَارِ الْمُحَاجَّةِ الصَّادِرَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِلْمُسْلِمِينَ فِي اللَّهِ تَعَالَى، وَاصْطِفَائِهِ نَبِيَّ آخِرِ الزَّمَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مِنَ الْعَرَبِ<sup>(1)</sup>، وَالتَّعْجِيبُ مِنْ تِلْكَ الْمُحَاجَّةِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُ الْحَقُّ.

الإنكار على  
أهل الكتاب  
محتاجتهم  
فيما يعلمون

سِرُّ إِيثَارِ اسْتِعْمَالِ صِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾:

جَاءَ التَّعْبِيرُ بِالْفِعْلِ الْمَضَارِعِ: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِمْرَارِ مُحَاجَّةِ أَهْلِ الْكِتَابِ لِلْمُسْلِمِينَ فِي نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَرِسَالَتِهِ، وَتَجَدُّدِهَا كُلَّ مَرَّةٍ مِنْ غَيْرِ انْقِطَاعٍ مِنْهُمْ، مَعَ بَطْلَانِهَا، مِمَّا يَزِيدُ مِنْ تَقْبِيحِ فِعْلِهِمْ وَتَشْنِيعِهِ.

واجب المسلم  
الاستعداد  
الحجاجة  
والفكري في كل  
عصر

فَالْفِعْلُ الْمَضَارِعُ: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾ يَقْتَضِي الْمُحَاجَّةَ، الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالِاسْتِمْرَارِ، فَهُوَ فِعْلٌ دَائِمٌ، وَهَذَا مَا يَدْعُو إِلَى الْاسْتِنكَارِ وَالتَّعْجُبِ مِنْ فِعْلِهِمُ الْمُسْتَمِرِّ بِالْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ؛ فَالْآيَةُ إِخْبَارٌ عَمَّا سَيَصْدُرُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَمَقْتَضَى الْإِخْبَارِ مَعْرِفَةُ مَا سَيَقْعُ مِنْهُمْ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِذَلِكَ عَلَى الْمُسْتَوَى الْعِلْمِيِّ وَالثَّقَافِيِّ وَالفِكْرِيِّ وَالحِجَاجِيِّ، بِمَا يُلْزَمُ فِي كُلِّ عَصْرِ بِحَسَبِ أَدَوَاتِهِ، فَالْآيَةُ تَزْرَعُ فِي عَقْلِ الْمُسْلِمِ الْوَعْيَ وَالفَهْمَ وَالِاسْتِعْدَادَ، وَأَنَّ مَا يَصْدُرُ عَنِ الْآخِرِ لَا يَصِحُّ التَّهَانُ فِي شَأْنِهِ.

نَكْتَةُ الْإِيجَازِ بِالْحَذْفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِي اللَّهِ﴾:

حَذْفُ الْمُضَافِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾؛ وَأَقِيمَ

(1) الرَّمْخُسَرِيُّ، الْكُشَافُ: 1/197.

تصويرُ شناعةٍ  
وقُبْحٍ ما  
وقعوا فيه من  
المُحَاجَجةِ

اتباعُ الإنكارِ خبرًا  
حاجبًا يُثَبِّتُ  
المعنى المُراد

المُضَافُ إليه - وهو الاسم الكريم: (الله) - مَقَامَه، أي: أحتاجُوننا في دين الله، أو شريعة الله، أو شأن الله، ونكتة الحذف بيانُ شِدَّةِ جَهْلِ أهل الكتاب، فهم يُحَاجُّون في ذات الله تعالى، لجهلهم وسَخَافَةِ عقولهم، وهو مَكْمُنُ الإنكارِ عليهم، بِقَصْدِ المُبالِغَةِ<sup>(1)</sup>، وفائدته تَظْهَرُ في تصويرِ شناعةِ وقُبْحِ المُحَاجَجةِ التي وقعوا فيها!

**ترشيحُ الإنكارِ بالأسلوبِ الخبريِّ: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا﴾:**

لَمَّا كان جدالُ أهل الكتابِ للمسلمينَ ومُحَاجَجتُهُمْ مَحْطَّ إنكارٍ وتَعجيبٍ، جاء بعده الأسلوبُ الخبريُّ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾؛ لتأكيدِ معنى الإنكارِ وتصويرِ بشاعةِ المستنكرِ عليهم من أمرين:

الأوَّل: أَنَّ الله تعالى أَعْلَمُ بِتدبيرِ خَلْقِهِ، وبِمَنْ يَصْلُحُ لِلرِّسَالَةِ وبِمَنْ لَا يَصْلُحُ لها، فلا تَعْتَرِضُوا على حكمِ الله وأمرِهِ؛ فليس للعبد أن يعترضَ ويحاججَ فيما ليس له به علم، بلْ يَجِبُ عليه تفويضُ الأمرِ بِالْكَلِيَّةِ إليه تعالى.

الآخر: أَنَّهُ لَا نِسْبَةَ لَكُمْ إِلَى الله تعالى إِلَّا بِالْعُبُودِيَّةِ، وهذه النِّسْبَةُ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَلَمْ تُرْجَحْ أَنْفُسُكُمْ عَلَيْنَا، بلِ التَّرْجِيحُ مِنْ جَانِبِنَا؛ لَأَنَّا مُخْلِصُونَ له في العُبُودِيَّةِ<sup>(2)</sup>.

**التَّرْقِي في المُحَاجَجةِ في قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾:**

التأسيسُ  
بالانتسابِ،  
يجب معه  
الإثباتُ بالأعمالِ

مِنِ البلاغَةِ في الآيةِ الكريمة: التَّرْقِي من الأدنى إلى الأعلى في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾؛ فقد جاءت جُمْلَةُ ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ حَالِيَّةً، أي: كيف تُحَاجُّوننا في هَاتِهِ الحَالَةِ المَعْرُوفَةِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الشَّكَّ، وبهذه الجُمْلَةِ حَصَلَ بَيَانُ

(1) السَّمِين، الذُّرُّ للصون: 1/145.

(2) الرَّاذِي، مفاتيح الغيب: 4/76.

لمَوْضُوعِ الْمُحَاجَّةِ، ثُمَّ ارْتَقَى فِي الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: ﴿وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾، فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ عَطْفٌ عَلَى الْحَالِ، ارْتِقَاءً فِي إِبْطَالِ مُجَادِلَتِهِمْ، بَعْدَ بَيَانِ أَنَّ الْمَرْبُوبِيَّةَ تُوْهِلُ لِإِنْعَامِهِ كَمَا أَهْلَتَهُمْ، ارْتَقَى فَجَعَلَ مَرْجُو رِضَى اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَعْمَالَهُمْ، فَإِذَا كَانَ قَدْ أَكْرَمَكُمْ لِأَجْلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَلَعَلَّهُ أَكْرَمَنَا لِأَجْلِ صَالِحَاتِ أَعْمَالِنَا أَيْضًا، فَتَعَالَوْا فَانْظُرُوا أَعْمَالَكُمْ، وَانْظُرُوا أَعْمَالَنَا، تَجِدُوا حَالَنَا أَقْرَبَ إِلَى الصَّلَاحِ مِنْكُمْ، وَهَذَا التَّرْقِي أَضْفَى عَلَى جَدَالِهِمْ قُبْحًا فَوْقَ قُبْحٍ (1).

قَالَ الْبِيضَاوِيُّ: "كَأَنَّهُ أَلْزَمَهُمْ عَلَى كُلِّ مَذْهَبٍ يَنْتَحُونَهُ إِفْحَامًا وَتَبْكِيتًا، فَإِنَّ كِرَامَةَ النُّبُوَّةِ إِمَّا تَفْضُلٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَالْكُلُّ فِيهِ سَوَاءٌ، وَإِمَّا إِفَاضَةٌ حَقٌّ عَلَى الْمُسْتَعِدِّينَ لَهَا، بِالْمُوَظَّابَةِ عَلَى الطَّاعَةِ، فَكَمَا أَنَّ لَكُمْ أَعْمَالًا، رُبَّمَا يَعْتَبَرُهَا اللَّهُ فِي إِعْطَائِهَا، فَلَنَا أَيْضًا أَعْمَالٌ" (2).

### التَّقديم للقصر في قوله: ﴿وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾:

مِنْ بَلَاغَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾: تَقْدِيمُ شِبْهِ الْجُمْلَةِ: ﴿وَلَنَا﴾ عَلَى الْمُبْتَدَأِ: ﴿أَعْمَلُنَا﴾، وَتَقْدِيمُ شِبْهِ الْجُمْلَةِ: ﴿وَلَكُمْ﴾ عَلَى الْمُبْتَدَأِ: ﴿أَعْمَلُكُمْ﴾، وَأَفَادَ هَذَا التَّقديمُ الْقَصْرَ، قَصَرَ أَعْمَالِ كُلِّ فَرِيقٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَيْهِ وَتَخْصِيصَهَا بِهِ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى "أَنَّ الْعَمَلَ هُوَ أَسَاسُ الْأَمْرِ، وَبِهِ الْعِبْرَةُ، وَكَمَا أَنَّ لَكُمْ أَعْمَالًا، يَعْتَبَرُهَا اللَّهُ فِي إِعْطَائِ الْكِرَامَةِ وَمَنْعِهَا، فَنَحْنُ كَذَلِكَ" (3)، وَفِيهِ وَجُوبُ الْبَرَاءَةِ مِنْ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ وَشَرِّكَهُمْ، إِذْ فَصَلَتْ الْآيَةُ بَيْنَ أَعْمَالِ كُلِّ فَرِيقٍ، وَأَعْطَتْهُ حَكْمًا خَاصًّا بِهِ.

### دلالة عطف قوله: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾:

جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ مَعْطُوفًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَنَا أَعْمَلُنَا﴾، احْتِرَاسًا يَدْفَعُ تَوْهُمَ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ مُشَارِكِينَ

الأعمال ثمار  
الاعتقاد ودليل  
القبول، وكل  
مكلف مَفْرُوقٌ  
بِعَمَلِهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/746.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/109.

(3) الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 1/197.

دفع توهم  
الاشتراك  
بين المسلمين  
وأهل الكتاب  
في الأعمال  
الصالحات

لِلْمُخَاطَبِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ نَظِيرُ عَطْفِ قَوْلِهِ  
تَعَالَى: ﴿وَلَىٰ دِينٌ ﴿٦﴾ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾﴾ [الكافرون: 6] (1).

فدَلَّ الاحتراسُ عَلَى أَنَّ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ  
أَعْمَالَهُ الْخَاصَّةَ بِهِ، فَلِلْمُسْلِمِينَ أَعْمَالُهُمُ الصَّالِحَةُ، وَمِنْهَا: التَّوْحِيدُ،  
الَّتِي لَا تَنْفَعُكُمْ مَا دُمْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَلِأَهْلِ الْكِتَابِ أَعْمَالُهُمُ  
الْقَبِيحَةُ، وَمِنْهَا: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، الَّتِي لَا تَضُرُّ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ وَبَالُهَا عَلَى  
أَصْحَابِهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (2).

وَمِنْ فَوَائِدِ الْعَطْفِ بَيَانُ الْمَفَاصِلَةِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، فَأَعْمَالُ الْمُؤْمِنِينَ  
لَا تَتَقَاطَعُ مَعَ أَعْمَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي أَيِّ شَكْلِ، مَا دَامَ الْإِعْتِقَادُ مُخْتَلَفًا.

**بِدَاغَةُ الْفَاصِلَةِ: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾:**

جَاءَتْ الْفَاصِلَةُ الْقِرْآنِيَّةُ: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ لِلرَّدِّ عَلَى أَهْلِ  
الْكِتَابِ وَالتَّعْرِيزِ بِهِمْ بِأَسْلُوبِ الْقَصْرِ، بِطَرِيقَيْنِ:

الْأَوَّلُ: تَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ، فَقَدْ قَدَّمَ شِبْهَ الْجُمْلَةِ مِنَ الْجَارِّ  
وَالْمَجْرُورِ: ﴿لَهُ﴾ عَلَى عَامِلِهِ: ﴿مُخْلِصُونَ﴾، وَالْأَصْلُ: وَنَحْنُ مُخْلِصُونَ  
لَهُ مُوَحِّدُونَ، نَخْصُصُهُ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ دُونَكُمْ، فَأَفَادَ تَخْصِصَ  
الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَقَصَرَهُ عَلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَفِي التَّقْدِيمِ  
أَيْضًا: مُرَاعَاةٌ لِلْفَوَاصِلِ، وَالِاهْتِمَامُ بِالْمُقَدَّمِ (3).

الْآخَرُ: اِسْمِيَّةُ الْجُمْلَةِ، فَقَدْ أَفَادَتِ الْقَصْرَ أَيْضًا، لِدَلَالَةِ الْجُمْلَةِ  
الِاسْمِيَّةِ عَلَى ثَبَاتِ الْوَصْفِ وَدَوَامِهِ لَهُمْ، وَالْمُتَّمِلُّ بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ  
تَعَالَى فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ، وَفِي هَذَا: تَعْرِيزُ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ  
أَشْرَكُوا بِاللَّهِ تَعَالَى، وَرَدُّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ بَعِيدُونَ عَنِ الْعِبَادَةِ الصَّحِيحَةِ،  
الَّتِي تَتَطَلَّبُ مِنْهُمْ تَوْحِيدَ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَإِخْلَاصَ النِّيَّةِ لَهُ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/746.

(2) الرازبي، مفاتيح الغيب: 4/74.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/109.

فائدة القصر  
بيان العبادة  
الحقة  
والتعريض بأهل  
الكتاب

## جمال الاتساق في فواصل الآيات:

مِنْ مقاصدِ الخطابِ القرآنيِّ وجمالِياتِه: أَنْ تُخْتَمَ الآيةُ بفاصلةٍ تُناسِبُ معناها، لتَقْرِيرِ هذا المعنى وتأكيدِه في أذهانِ السَّامِعِينَ، عن طريقِ التَّعبيرِ بالتَّذييلِ، وهو نوعٌ مِنْ أنواعِ الإطنابِ البلاغيِّ، وهو ما كان في فواصلِ عَدَدٍ مِنَ الآياتِ السَّابِقَاتِ، الَّتِي تَشَابَهَتْ في التَّركيبِ، مع اختلافِ بعضِ ألفاظِها.

فقد جاءتِ الفواصلُ: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، و﴿وَنَحْنُ لَهُ عِبْدُونَ﴾، و﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾، مناسبةً لسياقِها الَّذِي وَرَدَتْ فيه. فقولُه تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مناسبٌ لـ (أَمانا)، أي: نَوْمِنُ بِاللَّهِ، وبما أُنْزِلَ على الأنبياءِ، عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، وَنَسْتَسْلِمُ لَهُ، وَنَقَادُ لأوامرِه ونواهيه، وقولُه تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ عِبْدُونَ﴾ مُلائِمٌ لقولِه تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾؛ لَأَنَّها بمعنى: دينِ اللَّهِ، فالْمَصْدَرُ كَالْفَذْلَكَةِ لما سَبَقَ، وقولُه تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ مُوافقٌ لما قَبَلُها<sup>(1)</sup>.

وإنَّ تَكَرَّارَ هذا النَّمَطِ مِنَ الفواصلِ، مُتَشَابِهَةِ التَّركيبِ، مُتَنَوِّعَةِ الألفاظِ، في مُواجهةِ أَهْلِ الكِتابِ وَجِدالِهِم، القائِمِ على الباطلِ وتزييفِ الحقائق: جاء "لإِفحامِهِم، وإِغلاقِ البابِ في وجوهِهِم مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ؛ إِذْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَصُولَ هَذِهِ المِلَّةِ أَمْنٌ مِنْ أَنْ تَقْبَلَ الجِدالُ في شَيْءٍ مِنْها"<sup>(2)</sup>؛ لأنَّ في هَذِهِ التَّراكيبِ المُتَشابِهَةِ، دَلالَةٌ على اعتناءِ السُّورَةِ بما تَتَضَمَّنُهُ هَذِهِ الفواصلُ المُؤكِّدَةُ لِمَضمونِ الآياتِ، وَلِسياقِها العامِّ.

وفي هَذِهِ الفواصلِ تَكثيفٌ لحقيقةٍ عَظْمى، عالجَها القرآنُ الكريمُ في أَغلبِ سُورِهِ، وتأكيدٌ على رَكيْزَةٍ مُهمَّةٍ في بِناءِ المُجتمَعِ

الفاصلةُ مظهرٌ  
من مظاهر  
إعجازِ القرآنِ،  
وقوَّةُ اتِّساقِهِ

الإسلامُ  
والعبادةُ  
والإخلاصُ أصولُ  
القبولِ وعليها  
مدارُ الأمرِ

(1) الألوسي، روح المعاني: 1/396.

(2) دَرَّاز، التَّبَيُّنُ العَظِيمُ، ص: 229.

الإسلامي، فهي - وإن اختلفت ألفاظها: ﴿مُسْلِمُونَ﴾، ﴿عَبِيدُونَ﴾، ﴿مُخْلِصُونَ﴾، إلا أن مضمونها واحد، وتقرر حقيقة واحدة ثابتة، وهي: وَحْدَةُ دِينِ اللَّهِ تعالى، وإطراده على أيدي رُسُلِهِ جميعاً، ونفي فكرة احتكاره في أيدي أمة أو جنس، وبيان أن العقيدة تراث القلب المؤمن، لا تراث العصبية العمياء، وأن وراثته هذا التراث لا تقوم على قرابة الدم والجنس، ولكن على قرابة الإيمان، فمن آمن بهذه العقيدة، ورعاها في أي جيل، ومن أي قبيل؛ فهو أحق بها من أبناء الصلب، وأقرباء العصب.

### توجيه القراءات القرآنية:

الإنكار على  
مدعي يهودية  
إبراهيم  
بالخطاب المباشر  
وبالوساطة

قرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب وخلف العاشر بالتاء: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾، بصيغة المخاطب، وقرأ الباقون؛ بالياء: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بصيغة الغائب<sup>(1)</sup>.

فعلى قراءة الخطاب: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ تكون متسقة مع ما قبلها: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾، وما بعدها: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمَ اللَّهُ﴾، فأتى بالفعل على الخطاب، عطفاً باللفظ على معنى الخطاب في سياق الآيات ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾، ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾، ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ﴾<sup>(2)</sup>.

وعلى هذه القراءة: تكون ﴿أَمْ﴾ متصلة، مُعَادِلَةٌ للهمزة في قوله: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾، أي: أَتَحَاجُّونَنَا في الله، أم تقولون: إن هؤلاء الأنبياء على دينكم، فالاستفهام عن وقوع أحد هذين الأمرين: المُحَاجَّة في الله تعالى، والادِّعاء على إبراهيم عليه السلام، ومن ذكر معه، أنهم كانوا يهوداً أو نصارى؛ أي: أي الأمرين وقع منكم؟<sup>(3)</sup>.

وعلى قراءة الغائب: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾، يكون الكلام التفتاتاً من الخطاب إلى الغيبة، والضمير لناس مخصوصين، وعلى هذه القراءة: تكون ﴿أَمْ﴾ مُنْقَطِعَةٌ، تُقَدَّرُ بـ (بل) (والهمزة) الدالة على الإنكار والتوبيخ، أي: بل يقولون إن هؤلاء الأنبياء على دينكم،

(1) ابن الجزري، النشر، 2، 223.

(2) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص: 89.

(3) الرمخشري، الكشف: 1/197.

وكأنه أنكر عليهم مُحاجَّتَهُمْ في الله تعالى، ونسبَ أنبياءه لليهودية والنصرانية، وقد وَقَعَ منهم ما أنكر عليهم<sup>(1)</sup>، "فَوَبَّحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْكَلَامِ فِي مَعْرِضِ الْاسْتِفْهَامِ، عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ، وَالْفَرْضُ مِنْهُ: الرَّجَرُ وَالتَّوْبِيخُ، وَأَنَّ يُقَرَّرَ اللَّهُ فِي نَفْسِهِمْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ فِيمَا يَقُولُونَ"<sup>(2)</sup>.

والقراءتان مرادتان، فالآية تُكْرَرُ على أهل الكتاب المحاجة وادعاء يهودية إبراهيم ونصرانيته على القراءتين، إحداهما جاءت خطاباً للقوم مباشرة، والثانية جاءت غيبة، تعليماً للمؤمنين الرد عليهم، ونكتة القراءتين، أن إحداهما جاءت خطاباً للسامعين مباشرة، والأخرى لمن وصلته الآية بالوساطة.

### يُثَارُ اسْتِعْمَالُ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ: ﴿تَقُولُونَ﴾:

أثر النظم القرآني استعمال الفعل المضارع ﴿تَقُولُونَ﴾، دون (قالوا) في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾: للدلالة على استمرار تقوُّلهم على الأنبياء وافتراءهم عليهم، وتجديده كل مرة من غير انقطاع منهم، ممَّا يَزِيدُ مِنْ تَقْبِيحِ فِعْلِهِمْ وَتَشْنِيعِهِ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ الْمُضَارِعَ يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالِاسْتِمْرَارِ، فَهُوَ فِعْلٌ دَائِمٌ، وَهَذَا مَا يَدْعُو إِلَى الْاسْتِنْكَارِ وَالتَّعْجُّبِ مِنْ فِعْلِهِمُ الْمُسْتَمِرِّ بِالْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى عِنَادِهِمْ فِي كُفْرِهِمْ، وَعَتَوْتِهِمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَهُوَ يَكْشِفُ عَنْ مَوْقِفِهِمُ الثَّابِتِ وَزَعْمِهِمُ الْآثِمِ فِي ادِّعَاءِ يَهُودِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَنَصْرَانِيَّتِهِ، وَهُمْ بِذَلِكَ يَكْشِفُونَ خَسَارَتَهُمْ، وَأَنَّهُمْ يَنْتَسِبُونَ لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ لِقُوَّةِ مَوْقِفِهِمْ، وَلِرَدْفِ مَسِيرَتِهِمْ، وَهَذَا شَأْنٌ كُلُّ مَبْطُلٍ، أَنْ يَتِمَّسَكَ بِأَهْلِ الْحَقِّ السَّابِقِينَ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ الْمُبِينِ، وَفِي التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ إِشْعَارٌ بِاسْتِمْرَارِ مَنْهَجِهِمُ الْبَاطِلِ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ يَدَّعِي الْإِنْتِسَابَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ دُونَ الْإِلْتِزَامِ بِمَنْهَجِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ تَابَعَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي ضَلَالِهِمْ، وَافْتَرَى عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ الْإِثْمَ الْمُبِينَ.

محاولة الانتماء  
إلى أهل الحق  
ادعاء دون  
متابعة نهج  
فاسد ومسلك  
باطل

(1) أبو حيَّان، البحر للحيط: 1/660.

(2) الرَّاغِبِي، مفاتيح الغيب: 4/77.

## ترتيب ذكر الأنبياء على طريقة التدلي:

مراعاة ترتيب  
الزمان هي  
الأصل ما لم ترد  
نكتة خلاف ذلك

راعى النظم الترتيب الزماني في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ على طريقة التدلي؛ بذكر الأقدم ثم الذي يليه، فقد ذكر أولاً: ما أنزل على سيدنا إبراهيم، لفضله وأبوته، ثم ذكر ابنه إسماعيل، الابن البكر الأكبر على أخيه إسحاق، وقدم إسحاق على ابنه يعقوب، وقدم يعقوب على ولده ﴿وَالْأَسْبَاطَ﴾ - وقد مر بيانه - وهذا الترتيب مقصود في هذا السياق، إذ جاء بترتيب الأنبياء حسب الترتيب الزمني لهم، فضلاً أن فيه دلالة على دخول الأنبياء بعد سيدنا إبراهيم، إذ هم داخلون في شريعته.

والأمر نفسه في تقديم اليهودية على النصرانية، في قوله تعالى: ﴿كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾، فاليهودية أقدم زمناً من النصرانية، وهذا هو الأصل في الترتيب، ما لم تكن ثمة نكتة تقتضي الترتيب الموضوعي، فتلاحظ من السياق.

تقديم (إبراهيم)  
على الأنبياء  
باعتباره الأصل  
المفترى عليه

ونكتة تقديم نبي الله إبراهيم ﷺ على الأنبياء كلهم؛ الاهتمام به، فهو محور الجدل، لأنه ﷺ كان قبل نزول التوراة والإنجيل، أي: قبل تحريف دين موسى - وهو الإسلام - إلى اليهودية، ومثله دين عيسى إلى النصرانية، فكان البدء به تعجباً من أمر جداهم فيه، وإنكاراً عليهم، وتوبيخاً لهم، وبيان كذبهم وافتراءهم، وذلك على سنن العرب في تقديم الأهم، حسب الموقف، وهذا ما يقويه مجيء ﴿إِنَّ﴾ مجردة قبل اسمه، ﷺ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ﴾، لإنكار مقولتهم المحكية والتعجب منها، ليتسلط الإنكار على تماديهم في الضلال وتأكيدهم ما يذهبون إليه من دعاوى كاذبة، فقد حكى القرآن في مواضع عدة، زيف ادعائهم، وبين كذبهم، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَمْ تُحَاجُّوا فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ

إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَتُولَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

﴿٦٦﴾ [آل عمران: 65-68].

**براعة الاستفهام التقريري في قوله: ﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾:**

لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ تَوَاجَهَ أَهْلَ الْكِتَابِ فِي مَذْهَبِهِمُ الْبَاطِلِ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، كَانَ الْاسْتِفْهَامُ يَتَكَرَّرُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، لِبَيَانِ زَيْفِ اعْتِقَادِهِمْ؛ لِتَكُونَ الْعَقِيدَةُ بِذَلِكَ سَدًّا مَنِعًا فِي وُجُوهِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ أَمْرِ غَيْبِيٍّ سَابِقٍ لِرَمَنِ الْخُطَابِ: ﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾، وَأَرَدَفَهُ مَبَاشَرَةً بِاسْتِفْهَامٍ ثَانٍ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾.

رَدُّ الْأُمُورِ إِلَى  
نَصَابِهَا بِإِثَارَةِ  
الْفِكْرِ وَالْعَقْلِ  
مِنْهُجُ الْقُرْآنِ فِي  
تَقْرِيرِ الْحَقَائِقِ

وَقَدْ خَرَجَ الْاسْتِفْهَامُ الْأَوَّلُ ﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾: إِلَى مَعْنَى التَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ، فَقَرَّرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْلَمُ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، حَاضِرُهَا وَغَائِبُهَا، وَأَنَّ دَعْوَاهُمْ فَاسِدَةٌ (1).

وَهَذَا مَا يُفَرِّزُهُ حَذْفُ جَوَابِ الْاسْتِفْهَامِ، أَي: "اللَّهُ أَعْلَمُ، وَخَبْرُهُ أَصْدَقُ، وَقَدْ أَخْبَرَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَفِي الْقُرْآنِ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ مُبَرِّئِينَ عَنِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ" (2)، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 65].

وَقَدْ اسْتَفِيدَ مِنْ هَذَا الْاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعْلَمَهُمْ بِأَمْرِ، جَهْلَتَهُ عَامَّتُهُمْ، وَكَتَمَتَهُ خَاصَّتُهُمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَهَا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (3).

وَلَأَبَى السُّعُودِ رَأْيِي فِي هَذَا الْاسْتِفْهَامِ صَاغَهُ بِقَوْلِهِ: "إِعَادَةُ الْأَمْرِ لَيْسَتْ لِمُجَرِّدِ تَأْكِيدِ التَّوْبِيخِ وَتَشْدِيدِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ؛ بَلْ لِلإِذَانِ بِأَنَّ مَا بَعْدَهُ لَيْسَ مُتَّصِلًا بِمَا قَبْلَهُ، بَلْ بَيْنَهُمَا

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 1/217.

(2) الرَّاظِي، مفاتيح الغيب: 4/77.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/747.

كَلَامٌ لِلْمُخَاطَبِينَ، مُتَرَتَّبٌ عَلَى مَا سَبَقَ، مُسْتَتَبِعٌ لِمَا لَحِقَ، قَدْ صُرِبَ عَنْهُ الذِّكْرُ صَفْحًا لظُهُورِهِ، وَهُوَ تَصْرِيحُهُمْ بِمَا وُبِّخُوا عَلَيْهِ، مِنْ الْإِفْتِرَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، أَيْ: كَذِبُهُمْ فِي ذَلِكَ، وَبَكَّتَهُمْ قَائِلًا: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، وَقَدْ نَفَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ كِلَا الْأَمْرَيْنِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾، وَهَؤُلَاءِ الْمَعْطُوفُونَ عَلَيْهِ - ﷺ - أَتْبَاعُهُ فِي الدِّينِ وَفَاقًا، فَكَيْفَ تَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا تَصِفُونَ<sup>(1)</sup>.

### غرض الاستفهام في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً﴾:

كتمان الشهادة  
من أعظم أنواع  
الظلم، وأقبحه  
سلوكًا

جاء الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾، بَعْدَ الاستفهام الأولِ ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾، لِيُقَرَّرَ معناه وَيُؤَكِّدَهُ، وَغَرَضُهُ النَّفْيُ، مُبَالِغَةً فِي وَصْفِ إِجْرَامِهِمْ وَكَذِبِهِمْ، وَزَيْفِ ادِّعَائِهِمْ، أَيْ: لَا أَحَدٌ أَشَدَّ ظُلْمًا فِي كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ، مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(2)</sup>، مِنْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا مُسْلِمِينَ، أَوْ كَتَمَ مَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْعِلْمِ بِصِفَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاثْبَاتِ نُبُوَّتِهِ<sup>(3)</sup>.

وَمِمَّا زَادَ مِنْ بَيَانِ شِدَّةِ جُرْمِهِمْ بِكِتْمَانِ الشَّهَادَةِ: أَنَّهَا جَاءَتْ نَكْرَةً؛ لِتَعْظِيمِهَا وَتَفْخِيمِهَا، لِأَنَّهَا ﴿مِنْ اللَّهِ﴾، فَهِيَ شَهَادَتُهُ تَعَالَى، وَهَذَا زَادَ مِنْ تَجْرِيمِهِمْ بِكِتْمَانِ الشَّهَادَةِ، وَتَقْطِيعِ حَالِهِمْ.

### الكناية والتعريض في الاستفهام: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً﴾:

أَفَادَتِ الْجُمْلَةُ الاستفهامية في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ الْكِنَايَةَ وَالتَّعْرِیْضَ، فَهَذَا الاستفهام: جَاءَ كِنَايَةً عَنْ عَدَمِ اغْتِرَارِ الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِ أَهْلِ الْكِتَابِ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَأَبْنَاءَهُ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى، وَلَيْسَ هَذَا

(1) أَبُو السُّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 170-169/1.

(2) ابْنُ عَطِيَّةٍ، لِلْحَزَرِ الْوَجِيزِ: 1/217، وَالرَّازِيُّ، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ: 4/77، وَأَبُو حَيَّانٍ، الْبَحْرُ الْحَيْطُ: 6/664.

(3) ابْنُ جَرِيرٍ، جَامِعُ الْبَيَانِ: 126-125، وَالْوَاهِدِيُّ، الْوَجِيزُ، ص: 134.

احتجاجاً عليهم<sup>(1)</sup>، وفيه تعريضٌ باليهود والنصارى بكتمانهم شهادة الله لنبيه محمد ﷺ بالنبوة والرسالة في كتبهم<sup>(2)</sup>.

**دلالة فاصلة الآية الكريمة: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾:**

من أوجه التناسب في الآية الكريمة ختمها بقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، فهذه الفاصلة جاءت مؤكدة لما سبقها من ادعاءات باطلة، وتحريف للحقائق وتزويرها، وكتمان للشهادة.

فجاءت هذه الفاصلة لتربية المهابة عند المخاطبين، وهي خبرٌ مستعملٌ في التهديد والوعيد الشديد لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، الذين يكتُمون ما أنزل إليهم من العلم، بمجازاتهم على ذلك، فالله تعالى ليس بساهٍ عنهم، بل هو مطلعٌ على أعمالهم، وقد أحصاها صغيرها وكبيرها، لا تخفى عليه منهم خافية، ولن يضيع أمرهم سدى<sup>(3)</sup>.

**فائدة تكرار آية: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾:**

جاء قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 134] [البقرة: 141]، مرتين في أول الخطاب وآخره؛ لاختلاف السياق؛ لأنها وردت هنا إثر أمرٍ مغاير لما وردت في الموضع الأول، فكان التكرار حسناً؛ لاختلاف الأقوال والسياق، فقد ذكرت في الأول عقب ما ثبت من تقرير يعقوب عليه السلام لبنيه، وإقرارهم له في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: 133]، وفي الموضع الثاني: ذكرت بعد قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: 140]، ففي الأول: نفى ما هو ثابت من إقرار بني إسرائيل، وفي الثاني: إثبات

الخبر المراد به  
التهديد، أشد  
من التهديد  
المباشر

التكرار تحقيق  
للمضمون،  
وتأكيد للمعنى،  
بغرض إثباته لمن  
يجادل فيه

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/197.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/748.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/217، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/452.

ما هو مُنْتَفٍ، مِنْ كُونِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،  
وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ يُوجِبُ مِنَ الْبِرَاءَةِ، وَيُسْتَحَقُّ بِهِ غِلْظُ الْوَعِيدِ  
وَالْتَّخْوِيفُ بِالْعِقَابِ، وَالتَّنْبِيهُ عَلَى الْكِبِيرَةِ الَّتِي تَحْبِطُ الْحَسَنَاتِ مِثْلَ  
مَا يُوجِبُهُ الْآخَرُ، فَلِذَلِكَ أُعِيدَ فِي الدَّعْوَى الثَّانِيَةِ الْبَاطِلَةُ مَا قَدَّمَ فِي  
الدَّعْوَى الْأُولَى الْكَاذِبَةُ<sup>(1)</sup>.

قال ابنُ عَطِيَّةٍ: "وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ الآية، كَرَّرَهَا عَنْ قُرْبٍ؛  
لأنَّهَا تَضَمَّنَتْ مَعْنَى التَّهْدِيدِ وَالتَّخْوِيفِ، أَيْ إِذَا كَانَ أَوْلَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ  
عَلَى إِمَامَتِهِمْ وَفَضْلِهِمْ يُجَازَوْنَ بِكَسْبِهِمْ فَأَنْتُمْ أُخْرَى، فَوُجِبَ التَّأْكِيدُ؛  
فَلِذَلِكَ كَرَّرَهَا، وَلِتَرْدَادِ ذِكْرِهِمْ أَيْضًا فِي مَعْنَى غَيْرِ الْأَوَّلِ"<sup>(2)</sup>.

التَّكَرُّارُ تَحْذِيرٌ  
وَزَجْرٌ لِمَنْ غَلِظَ  
فَهْمُهُ

وَيَكُونُ التَّكَرُّارُ لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّحْذِيرِ وَالزَّجْرِ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ، مِنْ  
الْاِفْتِخَارِ بِالْآبَاءِ، وَالْاِتِّكَالِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَكَانَ فِي تَكَرُّارِهَا وَعَظُّ  
لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلِكُلِّ مَنْ يَتَّكِلُ عَلَى فَضْلِ الْآبَاءِ وَشَرَفِهِمْ؛ أَنْ لَا  
يَتَّكِلُوا عَلَى ذَلِكَ، فَكُلُّ يُوْخِذُ بِعَمَلِهِ، وَلَا يَنْفَعُهُ غَيْرُهُ<sup>(3)</sup>.

وَلِلتَّأْكِيدِ وَ"زِيَادَةِ رُسُوحِ مَدْلُولِهِ فِي نَفُوسِ السَّامِعِينَ، اهْتِمَامًا بِمَا  
تَضَمَّنَتْهُ؛ لِكُونِهِ مَعْنَى لَمْ يَسْبِقْ سَمَاعُهُ لِلْمُخَاطَبِينَ، فَلَمْ يُمْتَنِعْ فِيهِ  
بِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ"<sup>(4)</sup>.

#### مناسبة الآية الخاتمة في المحاجة للسياق:

خَتِمَتْ آيَاتُ الْمُحَاجَّةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا  
مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ لِبَيَانِ  
"أَنَّ تِلْكَ أُمَّةً قَدْ خَلَتْ مُنْفَرِدَةً بِعَمَلِهَا، كَمَا أَنْتُمْ كَذَلِكَ، وَأَنْتُمْ غَيْرُ  
مَسْئُولِينَ عَمَّا عَمِلُوهُ، وَجَاءَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ ابْتِدَاءِ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ  
إِلَى انْتِهَاءِ الْكَلَامِ فِيهِ، عَلَى اخْتِلَافِ مَعَانِيهِ، وَتَعَدُّدِ مَبَانِيهِ، كَأَنَّهَا

قُوَّةُ الْاِتِّسَاقِ  
الْمَوْضُوعِيِّ مَظْهَرٌ  
مِنْ مَظَاهِيرِ  
الْإِعْجَازِ

(1) الإسكافي، دُرَّةُ التَّنْزِيلِ، ص: 296-297، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/452.

(2) ابن عَطِيَّةٍ، الْحَزْرُ الْوَجِيزُ: 1/217.

(3) الْبِيضَاوِيُّ، أَسْرَارُ التَّنْزِيلِ: 1/110.

(4) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 1/748.

جملةً واحدةً، في حُسْنِ مَسَاقِفِهَا، وَنَظْمِ اتِّسَاقِهَا، مُرْتَقِيَةً فِي  
الْفَصَاحَةِ إِلَى ذِرْوَةِ الْإِحْسَانِ، مُفْصِّحَةً أَنْ بَلَغَتْهَا خَارِجَةٌ عَنْ طَبْعِ  
الْإِنْسَانِ، مُذَكِّرَةً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِجُّ عَلَى أَنْ  
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: 88] (1).

**غرض التقديم في قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾:**

قُدِّمَتْ شِبْهُ الْجُمْلَةِ ﴿لَهَا﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ  
مَا كَسَبْتُمْ﴾: عَلَى الْاسْمِ الْمَوْصُولِ الْمَبْتَدَأِ وَصِلَتِهِ ﴿مَا كَسَبَتْ﴾،  
وَقُدِّمَ شِبْهُ الْجُمْلَةِ ﴿لَكُمْ﴾ عَلَى الْاسْمِ الْمَوْصُولِ الْمَبْتَدَأِ وَصِلَتِهِ ﴿مَا  
كَسَبْتُمْ﴾: لِإِفَادَةِ الْقَصْرِ، أَي: قَصَرَ أَعْمَالِ كُلِّ فَرِيقٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ  
عَلَيْهِ، وَتَخْصِيصِهَا بِهِ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ عَمَلَ الْإِنْسَانِ وَكَسْبَهُ هُوَ  
أَسَاسُ الْأَمْرِ، وَبِهِ الْعِبْرَةُ، وَأَنَّ الْإِنْتِسَابَ لِلْسَّابِقِينَ الْفَاضِلِينَ لَا يُقَدِّمُ  
وَلَا يُؤَخِّرُ فِي الْقَبُولِ، فَالْأَمْرُ مَرهُونٌ بِعَمَلِ كُلِّ عَامِلٍ.

❖ **الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:**

**الْجِجَاجُ وَالْمُجَادَلَةُ:**

وَرَدَ الْجِجَاجُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا  
وَرَبُّكُمْ﴾، وَوَاضِحٌ مِنْ أَصْلِ اسْتِثْقَاةِ، وَهُوَ (الْحُجَّةُ) أَنَّ الْغَرَضَ  
مِنْهُ: ظُهُورُ الْحُجَّةِ.

كَمَا وَرَدَ الْجِدَالُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ  
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، وَهُوَ مُسْتَقٌّ  
مِنَ الْجِدَالَةِ: الْأَرْضِ، وَالْجِدْلُ: -بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ: كُلُّ عَظْمٍ مُؤَفَّرٍ كَمَا  
هُوَ، لَا يُكْسَرُ وَلَا يُخْلَطُ بِهِ غَيْرُهُ، وَالْجَدِيلُ: حَبْلٌ مَفْتُولٌ، فَالْمُجَادَلَةُ:  
الْتِفَافُ كُلُّ عَلَى الْآخِرِ بِإِصْرَارٍ (2).

الْمُكَلَّفُ  
مَحَاسَبَ عَلَى  
أَعْمَالِهِ، وَلَا يَتَأَثَّرُ  
بِعَمَلِ آيَاتِهِ أَوْ  
تَقْصِيرِهِمْ

الْغَرَضُ فِي  
الْجِجَاجِ ظُهُورُ  
الْحُجَّةِ، وَفِي  
الْمُجَادَلَةِ الرَّجُوعُ  
عَنِ الْمَذْهَبِ

(1) أَبُو حَيَّانَ، الْبَحْرُ الْحَبِيطُ: 1/664-665.

(2) جِبِل، لِلْعَجْمِ الْاسْتِثْقَاةَ لِلْوُضَلِ: (جِدَل).

والغرض من الجِدالِ أو المُجادَلَةِ: بَذْلُ الجُهدِ العَقْلِيِّ في صَرْفِ الطَّرْفِ الآخِرِ عَنْ رَأْيِهِ أو مَذْهَبِهِ، كما في قِصَّةِ المُجادِلَةِ.  
 وإيثارُ التعبيرِ بالمُحاجةِ في قوله: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ لَأَنَّهُ أُنْسِبُ لِلسِّيَاقِ؛ حيثُ إِنَّهُ يُبَكِّرُ عَلَيْهِمُ مُحَاجَّتَهُ في ما ليسَ لَهُمُ بِهِ عِلْمٌ، وادِّعَائِهِمُ فِي اللَّهِ، أَي: في دِينِهِ، أَنَّ دِينَهُ الحَقُّ اليَهُودِيَّةُ والنَّصْرَانِيَّةُ، بل وَبَنَوْا على هذا الادِّعاءِ، أَنَّهُم وَحْدَهُم أَصْحَابُ الجَنَّةِ.

### الكتمان والإخفاء:

الكتمان أنسب  
 في الدلالة  
 على حبس ما  
 لا يقوى على  
 إخفائه

وَرَدَ كِتْمَانُ الشَّهَادَةِ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

كما وَرَدَ الإخْفَاءُ في قوله تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: 154].

فالكِتْمَانُ يَكُونُ بالسُّكُوتِ عَنْ ذِكْرِ المعْنَى، وَيَدُورُ معْنَاهُ: حَوْلَ مَنْعِ تَسَرُّبِ ما يَمْتَلِئُ بِهِ باطنُ الشَّيْءِ، بِسَدِّ مَنَافِذِ خُرُوجِهِ<sup>(1)</sup>، وَخَتْمِ اللَّفْظِ بِصَوْتِ المِيمِ يُعَبِّرُ عَنْهُ تَمَامًا؛ حيثُ انطباقُ الشَّفَتَيْنِ بِهَا، وَمِنْهُ كِتْمَانُ الشَّهَادَةِ، وَهُوَ حَبْسُ النُّطْقِ بِهَا، أو الإِتْيَانُ بِهَا على غَيْرِ وَجْهِهَا، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الكِتْمَانِ، والإِخْفَاءُ أَعَمُّ مِنْهُ، فيكونُ في المعاني وَغَيْرِهَا<sup>(2)</sup>.

وإيثارُ ذِكْرِ كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ في حَيِّزِ الاستفهامِ المَنْفِيِّ؛ لَأَنَّهُ الأَنْسَبُ لِلسِّيَاقِ والأَلْيَقُ بِالشَّهَادَةِ؛ حيثُ استعْظَامُ جُرْمِهِمْ، في كِتْمَانِ شَهَادَةِ اللَّهِ الخاصَّةِ بِإِسْلامِ هؤُلاءِ الأنبياءِ المذكُورينَ، أو ذِكْرِ النَّبِيِّ الخاتَمِ ﷺ في كُتْبِهِمْ.

فهذه الشَّهَادَةُ تَكَادُ تَطِيقُ بِهَا أَسْنَتُهُمْ؛ لو أَنَّهُم كانوا صادقينَ، فَمِثْلُهَا لا يَخْفَى عِنْدَهُمْ.

وَأَمَّا الإِخْفَاءُ؛ فلم يَفْتَرِ بِالشَّهَادَةِ إِلَّا تَجَوُّزًا، وَإِنْ أُخْفِيَتِ الشَّهَادَةُ فَإِنَّ إِخْفَاءَهَا لِيُشِيرَ إلى ضَعْفِهَا، وإمكانِ إغْفالِ الخَصْمِ، وهذا لا يُنَاسِبُ المَقَامَ.

(1) جبل، العجم الاشتقاقِي المُؤَصَّل: (كتم).

(2) العسكري، الفروق اللُّغَوِيَّة، ص: 447، و448، وباختصار.

## الْخُلُوعُ وَالْمُضْيُ:

وَرَدَ الْخُلُوعُ بِمَعْنَى الْمُضْيِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾،  
 كَمَا وَرَدَ الْمُضْيُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى  
 مَثَلُ الْآوَلِينَ﴾ [الزخرف: 8].

الْخُلُوعُ أَوْسَعُ  
 مَعْنَى مِنَ  
 الْمُضْيِ، وَأَقْوَى  
 فِي الدَّلَالَةِ عَلَى  
 الذَّهَابِ وَالتَّبَرُّاجِ  
 الْوَاسِعِ الْمَمْتَدِّ

إِنَّ دَلَالَتهُ (خَلَا) عَلَى خُلُوعِ الْمَكَانِ أَوْ الزَّمَانِ مَعْنَى مَقْصُودٍ؛  
 إِذْ إِنَّ قَوْلَهُ ﴿خَلَتْ﴾ يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهَا مَضَتْ، وَبَقِيَ الْمَكَانُ خَالِيًا  
 مِنْ بَعْدِهِمْ، وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ تَكُونُ الْأُمَّةُ الَّتِي خَلَتْ  
 أُمَّةً صَالِحَةً، كَالْأَنْبِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ، وَقَدْ تَكُونُ أُمَّةً فَاسِدَةً، كَقَوْلِهِ  
 تَعَالَى: ﴿قَالَ أَذْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْحِجِّ وَالْإِنْسِ  
 فِي النَّارِ﴾ [الأعراف: 38].

وَتَدْبُرُ مَعْنَى الْخُلُوعِ يُضَاعِفُ الْعِظَةَ وَالْإِعْتِبَارَ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ؛ إِذْ  
 إِنَّهُ يُفَكِّرُ فِي أَحْوَالِ مَنْ مَضَى، كَمَا يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَقَدْ  
 حَلَّ مَكَانَهُمْ بَعْدَ أَنْ خَلَا مِنْهُمْ الْمَكَانُ وَالزَّمَانُ، فَهُوَ الْأَنْسَبُ لِلْسِّيَاقِ؛  
 حَيْثُ إِنَّهُ أَبْلَغُ فِي الرَّدِّ عَلَى زَعْمِهِمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ  
 كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ هَؤُلَاءِ أَفْضَلُ إِلَى مَا  
 قَدَّمُوا، فَافْتَرَيْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ تَعْتَبِرُوا.

فِي حِينَ "أَنَّ الْمُضْيَ خِلَافُ الْإِسْتِقْبَالِ؛ وَلِذَا يُقَالُ: مَاضٍ  
 وَمُسْتَقْبَلٌ" (1)، وَيَدُورُ مَعْنَاهُ حَوْلَ "نَفَازِ شَيْءٍ وَمُرُورِهِ بِغِلَظٍ أَوْ قُوَّةٍ، فِي  
 أَثْنَاءِ شَيْءٍ أَوْ مِنْهَا، كَمَا يَمْضِي السَّيْفُ أَيُّ: يَنْفُذُ فِي جِسْمِ الضَّرْبِيَّةِ،  
 وَكَمَا يَنْفُذُ الْفَرَسُ عَدْوًا، يَجُوزُ الْمَكَانَ بِقُوَّةٍ، وَمِنْهُ "مَضَى فِي الْأَرْضِ  
 مَضَاءً: نَفَذَ وَخَلَا وَذَهَبَ" (2).

(1) الْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ، ص: 498.

(2) جِبِل، لِلْعَجْمِ الْإِسْتِقَافِيُّ لِلْوُضَلِ: (مَضَى).



عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180  
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

\*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

\*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 2، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 8-53-798-9948-978

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

مج. 2: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

التقييم الدولي: 8-53-798-9948-978

\*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

\*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

\*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»